التعليم عن بعد
و الحد من الفجوة الرقمية

إن التطور المطرد الذي شهده قطاع تكنولوجيا المعلومات والاتصال شمل عديد المجالات والميادين بما في ذلك ميدان التعليم حيث برز خلال هذه السنوات الأخيرة نمط جديد للتعليم يسمى بالتعليم عن بعد عن طريق الإنترنت. هذا النمط ما فتئ يستقطب اهتمام أعداد كبيرة من المتعلمين ومؤسسات التكوين ويحتل مواقع متزايدة الأهمية في المنظومات التعليمية للعديد من الدول.

استعمال التقنيات الجديدة للتعليم يمكن من تحديث المنظومة الوطنية للتكوين وتحسين مردوديتها وخلق فرص لتثمين الذكاء والكفاءات والقدرات الوطنية وخلق مواطن شغل لهذا الغرض مع إمكانية تصدير المعارف والخبرات لبلدان أخرى.

يعتمد هذا النمط على التعليم والتعلم بطريقة لا حضورية أو افتراضية ويستعمل أساسا أدوات تكنولوجية حديثة كالحواسيب والبرمجيات الإعلامية والملتيميديا وشبكات الاتصال.

ولهذا النمط العديد من المزايا والتأثيرات على المستوى الصناعي والاقتصادي والاجتماعي سواء بالنسبة إلى الأفراد أو المؤسسات أو المجموعة الوطنية ككل. فبالنسبة إلى الأفراد فإن التعليم عن بعد عن طريق الإنترنت يمكن من تجاوز عائق المسافة إذ يستطيع كل فرد أن يدرس من موقعه كما يمكن من تجاوز عائق الزمن لأن كل فرد يستطيع أن يدرس في الوقت الذي يريده إلى جانب ما يوفره التعليم الافتراضي من فرصة حقيقية للتكوين المستمر والتعلم مدى الحياة لشريحة هامة من الأفراد الممارسين لنشاط مهني. أما بالنسبة إلى المؤسسات التعليمية فإن هذا النمط من التعلم يمكن من تحسين جودة المحتويات والمضامين البيداغوجية وذلك باستعمال تقنيات

د. محمد الجمني

الملتيميديا والتكنولوجيا الرقمية إلى جانب الرفع من طاقة الاستيعاب واستقطاب متكونين من كل الجهات واستعمال أفضل وأنجع للكفاءات البشرية المتخصصة كما يمكن هذا النمط من خلق فرص شراكة وتحالف مع مؤسسات تكوينية في بلدان أخرى دون أن ننسى الضغط على تكاليف تشييد المؤسسات والبناءات المخصصة للتعليم والتكوين أما بالنسبة إلى المجموعة الوطنية فإن استعمال هذه التقنيات الجديدة للتعليم يمكن من تحديث المنظومة الوطنية للتكوين وتحسين مردوديتها وخلق فرص لتثمين الذكاء والكفاءات والقدرات الوطنية وخلق مواطن شغل لهذا الغرض مع إمكانية تصدير المعارف والخبرات لبلدان أخرى.

إن التعليم عن طريق الانترنت يمثل أحدث شكل من أشكال التعليم عن بعد إذ كان هذا الأخير في بادئ الأمر يعتمد على المراسلة عن طريق البريد و كانت الدروس ترسل مطبوعة على الورق قبل أن تتطور في وقت لاحق و تستعمل الاسطوانات اللينة ثم الليزرية. و التطور الحاصل الآن هو نتاج عاملين رئيسين أولهما التقدم الرقمي الذي أتاح خاصة إمكانية دمج محتويات متنوعة كالنص و الصوت و الصورة و الفيديو و التي كانت في السابق تتطلب وسائط وحوامل مختلفة و هذا العامل هو ما يسمى بالملتيميديا. أما العامل الثاني فهو التطور الكبير الذي حصل في عالم الاتصال و الشبكات وخاصة شبكة الإنترنت و ما أفرزته من خدمات اتصال و تقديم للمعلومات ومن أهم هذه الخدمات نذكر الواب و ما يقدمه من مواقع تكاد لا تحصى تقدم معطيات متعلقة بشتى المواضيع و المجالات.

وللتعليم عن بعد عن طريق الإنترنت نمطان رئيسيان: نمط تزامني يقتضي ارتباط الأستاذ و الطلبة في نفس الوقت إذ يقدم الأستاذ الدرس مباشرة باستعمال أدوات تكنولوجية للتشاور المرئي و الحوار على الخط و استعمال مشترك للملفات و المعطيات. أما النمط الثاني فهو غير تزامني و لا يستوجب ارتباط الأساتذة و الطلبة في نفس الوقت إذ يجد الطالب الدرس مصوغا على طريقة الواب و يستطيع استعمال أدوات متخصصة للاتصال بالأساتذة و زملائه كالتراسل الإلكتروني أو المشاركة في منتديات مفتوحة. كما يمكن دمج هذين النمطين بحيث يكون التعليم أساسا غير متزامن مع استعمال أدوات تزامنية حسب جدولة مسبقة.

و يستوجب التعليم عن بعد منظومة خاصة لإدارة العملية التعليمية من ناحية لإدارة الدروس من ناحية أخرى. و تبوب هذه المنظومة مستعمليها كل حسب وظيفته وتمكن كل فرد من كلمة سر للولوج إلى خدمتها فهي تمكن الطالب من متابعة الدروس ومن استعمال الوسائل و الأدوات الضرورية للاتصال و الاستفسار

إن المتتبع للأحداث يدرك جيدا أن تونس قد اختارت إستراتيجية التأسيس لمجتمع العلوم و المعرفة مصرة على الحد من الفجوة الرقمية بين الدول المتقدمة و الدول النامية.

و القيام بالتمارين...كما تمكن الأستاذ من وسائل لمصاحبة الطلبة و تقديم المساعدة لهم و تقييم أدائهم. وهناك بعض المنظومات التي تقدم أيضا أدوات لإعداد الدروس و صياغتها.

و نؤكد هنا الأهمية البالغة لعملية صياغة الدرس المعد لغرض التعليم عن بعد. فهذه العملية تستوجب بيداغوجيا خاصة تتلاءم مع الخاصيات الجديدة للتعليم الافتراضي. فحتى نضمن الجودة المنشودة يجب أن تتوفر في الدرس غير الحضوري بعض الخصائص كالتفسير الكافي للمعلومات و التكامل التام وحسن اختيار مكونات الدرس و أنسب طريقة لصياغتها (نص، صورة، صوت، مقتطفات فيديو، برمجة محاكاة...)

كما يتوجب هيكلة الدرس و حسن تقسيمه على صفحات إلى جانب إثارة عنصر التشويق لدى المتعلم و حفزه للمضي و التقدم في الدرس و الحرص على تشريكه وتنمية البعد الجدلي في العملية التعليمية لديه مع احترامه النسق الذاتي للاستيعاب.

و للتلخيص يمكن القول إن عملية إعداد الدروس تستوجب تكوينا بيداغوجيا خاصة للأساتذة كما أن صياغتها بالملتيميديا و إعدادها للنشر على الواب يتطلب جهدا و وقتا و مهارة من طرف التقنيين المتخصصين في هذا المجال و الذين يمكن الاستعانة بهم لضمان جودة المنتوج البيداغوجي.

و إن المتتبع للأحداث يدرك جيدا أن تونس قد اختارت إستراتيجية التأسيس لمجتمع العلوم و المعرفة مصرة

على الحد من الفجوة الرقمية بين الدول المتقدمة و الدول النامية.

و إن قطاع التعليم عن بعد يمثل مجالا حقيقيا لإسهام الجامعيين في ترسيخ هذا المسار و التمكن من احتلال مكانة متقدمة ضمن البلدان المتحكمة في تكنولوجيات التعليم العصرية و ذلك عبر الإقدام الكثيف على التمرس بهذه التكنولوجيا و الإقبال على الدورات التدريبية في هذا الغرض و الشروع في صياغة الدروس و إعدادها و المرور من بيداغوجيا التعلم و معاضدة الجهود المبذولة في هذا الاتجاه سواء من طرف الجامعة الافتراضية أو الجامعات الأخرى و العمل على إرساء ركائز هذا التمشي عبر خلق و تدعيم و تنويع الشعب و الاختصاصات الواعدة في مجال تكنولوجيات المعلومات و الاتصال للتأسيس لصناعة وطنية تعنى بالمضامين و المحتويات البيداغوجية.

و في الختام نعلم جيدا أن الرهانات و التحديات كبيرة لكن إيماننا بقدرات الجامعيين التونسيين و كفاءاتم أكبر.

د. محمد الجمني